الإصدار الثاني والعشرون
المجلد (6) العدد (2)
25 مايو 2026
المجلة الدولية للنشر العلمي

الأسباب الإلهية للنصر في ضوء سورة الأنفال (غزوة بدر)

د. نجوان فضل عبدالله جعفر

https://doi.org/10.65723/RMSP1914

الملخص

يُعد النصر قضية من القضايا المهمة التي تناولها القرآن الكريم ، حيث لم يقتصر النصر على الأسباب المادية فحسب، بل هناك أسباب إلهية غيبية تعكس قدرة الله عزوجل وتدبيره لنصرة المؤمنين ، ففي هذا المقام نتناول الأسباب الإلهية للنصر كما وردت في سورة الأنفال حيث كانت من أهم الأسباب معية الله لعباده المؤمنين ، وإمداده لهم بالملائكة ، وإلقاء الرعب في قلوب الأعداء، هذا ولقد ثبتهم الله بالنعاس والمطر ـ وغير إدراكهم بالتقليل والتكثير ، إلى غير ذلك من أسباب التأييد الرباني ، لذا كان لنا وقفة مع هذه الأسباب.

الكلمات المفتاحية : النصر – معية – إمداد – الرعب -النعاس- المطر- تقليل – تكثير.

Abstract:

Victory is one of the important issues addressed by the Holy Quran, as victory is not limited to material reasons only, but there are divine, unseen reasons that reflect the power of God Almighty and His plan to support the believers. In this context, we will discuss the divine reasons for victory as mentioned in Surah Al-Anfal, where the most important reasons were God's support for His believing servants, His provision of angels to them, and the casting of terror into the hearts of the enemies. God strengthened them with drowsiness and rain, and changed their perception by making things less and more, in addition to other reasons of divine support. Therefore, we will pause to consider these reasons.

Keywords: victory – companionship – supply – terror – drowsiness – rain – decrease – increase

المقدمة :

لقد أيد الله المؤمنين بأسباب النصر العديدة في كثير من المعارك والغزوات، ومن هذه الأسباب ما تم ذكرها في سورة الأنفال و التي أمد الله بها عباده المؤمنين في غزوة بدر فقط، وذكرها في هذه الغزوة بالذات لا يعني نفي غيرها في باقي الغزوات. لذا وجدنا أن نقف بالتفصيل على هذه الدراسة والتي جاءت بعنوان (الأسباب الإلهية للنصر في ضوء سورة الأنفال -غزوة بدر)

أهمية **الدراسة :**

تبرز أهمية الدراسة في بيان سنن الله في النصر، وإظهار أنّ النصر لا يقوم على الأسباب المادية فقط ، بل تعتمد على التأييد الإلهي، كما تسهم في تعميق الفهم القرآني لأحداث غزوة بدر واستخلاص الدروس التربوية والإيمانية منها .

أهداف الدراسة:

1. بيان الأسباب الإلهية للنصر في غزوة بدر
2. تحليل الآيات القرآنية وتفسير معناها المتعلق بأسباب النصر .
3. إبراز الدور الإلهي في تحقيق النصر .
4. استنباط الدروس المستفادة من أسباب النصر.
5. ربط الأسباب بواقع المسلمين اليوم .

مشكلة الدراسة:

برزت مشكلة الدراسة في ضعف إدراك كثير من الناس لحقيقة النصر ، و إقتصار الأسباب فقط على الأسباب المادية دون الإلهية ، فلما كان للأسباب الإلهية دورٌ كبير في تحقيق النصر كان لابد لنا من الوقوف على هذه الدراسة : وبيان الأسباب الإلهية للنصر في ضوء سورة الأنفال

أسئلة الدراسة :

1.ما هي الأسباب الإلهية للنصر ؟
2.ما دور معية الله في تحقيق النصر للمؤمنين ؟
3.ما أثر الإمداد بالملائكة في غزوة بدر ؟
4.ما أثر التغشية بالنعاس ونزول المطر على المؤمنين ؟
5.كيف يسهم إلقاء الرعب والتقليل والتكثير في الأعين في تحقيق النصر ؟

منهج الدراسة :

اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي من خلال جمع الآيات القرآنية المتعلقة بأسباب النصر ، ثم تفسيرها وتحليلها في ضوء القرآن الكريم .

أداة الدراسة:

تمثلت في تحليل النصوص القرآنية المتعلقة بأسباب النصر في غزوة بدر مع الاستعانة بالأحاديث النبوية وأقوال المفسرين، لبيان دلالات الأسباب وأثرها في تحقيق النصر .

مصطلحات الدراسة :

النصر – الأسباب الإلهية – معية الله – الإمداد بالملائكة – التغشية بالنعاس – إلقاء الرعب – التقليل والتكثير

الدراسات السابقة:

التفسير المنير : وهبة الزحيلي
تفسير القرآن العظيم : ابن كثير
في ظلال القرآن : سيد قطب

المطلب الأول: معية الله.

لا يمكن للإنسان أن يحقق أي أمر إلا بأمر الله سبحانه وتعالي ومعيته، وهذا ما نلحظه من خلال غزوة بدر، حيث قال تعالى: ﴿ **إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ** ﴾ [الأنفال: 12]. فمعية الله نعمة من النعم التي أمد الله بها المؤمنين في قتالهم مع عدوهم. والمراد بالمعية: " معية الإعانة والنصر والتأييد في مواقف القتال الشديدة[1] . والمعية هنا مستحيلة إن تُحمل على المعية اللائقة بالله وهي المعية المجازية، فيكون المعنى توجه عنايته إليهم وتيسير العمل، وفي قوله ﴿ **مَعَكُمْ** ﴾ تشريف للملائكة وللعمل الذي سيقومون به، وهو مقدمة للتكليف بعمل شريف، فهو معهم في عملهم الذي كلفهم به.[2] ومعية الله سبحانه وتعالي للملائكة هي من النعم الخفية التي أظهرها الله لهم ليشكروه عليها حيث ألهم الملائكة أنه معهم معية إعانة ونصر وتأييد حينما أرسلهم ردءاً للمسلمين لينصروهم ويثبتوهم[3]، وأمرهم أن يقووا عزائم المؤمنين، ويصححوا نياتهم فلا يخافوا أية أخطار من عدوهم ومن ثم يبين لهم أن النصر ليس بكثرة العدد وقوة العدد بل النصر دائماً من عند الله تعالى القائل: ﴿ **كم من فئة قليلة غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ** ﴾ [البقرة: 249].[4] حركة العصبة المسلمة في الأرض بهذا الدين أمر هائل عظيم أمر يستحق معية الله للملائكة في المعركة، واشتراك الملائكة فيها مع العصبة المسلمة[5]. هذا وإن الإمداد بالملائكة دون معية الله لا يحقق نصراً، حيث إن وجود الملائكة بدون عون الله له، فإنها عاجزة عن تحقيق النصر وهي مفتقرة إلى معية الله له والذي يحقق النصر وهو رب العالمين، فهم وإن ثبتوا قلوب المؤمنين وقاتلوا معهم فلا بد لهم من معية الله ليلقي الرعب في قلوب الكافرين، فهو الذي يدير المعركة بجنده من البشر والملائكة ضد المحادين لله ورسوله.[6] ورغم كثرة الجنود التي أمد الله بها في المعركة والأسباب الداعية للنصر إلا أن النصر مرتكز عليه هو فهو من عنده فقط حيث قال تعالى: ﴿ **وما النصر إلا من عند الله** ﴾ [الأنفال: 10]، فليس للمقاتل أن يغتر بكثرة العدد والعدة، بل لابد أن يضع صوب عينيه أن النصر لا يكون إلا من عند الله وبمعيته، أليس هو القائل - سبحانه -: ﴿ **لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ** ﴾ [الأنفال: 8]. وتؤكد الباحثة على ذلك فيما حدث في غزوة حنين حيث كان عدد المسلمين كثيراً قال تعالى: ﴿ **وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً...** ﴾ [التوبة: 25] ؛ حيث بين د. منير الغضبان أن الله أراد أن يربي الجيش المسلم كله وبأعداده الضخمة الوافدة الجديدة على مبدأ النصر مترفقاً بكثرة العدد والعدة، وإن كانت هذه أسباب يُكلف المسلم بها من حيث الإعداد والتهيؤ.[7] فلذلك يجب على المسلم أن يستشعر معية الله له في كل شيء، وخاصة أنه أمدهم من عنده بالملائكة فسخرهم لنصرة المؤمنين في الجهاد، ومن كان الله معهم والملائكة إلى جانبهم فما ظنهم؟.[8] ولقد تجلت معية الله له وتحلى تأييده للمجاهدين، بل للناس أجمعين في معركة الفرقان في غزة في صورة واضحة لا يذكرها أحد فأكرمهم الله بعدة كرامات. وسنذكر كل كرامة عند ورود موضعها؛ حيث بدأت هذه المعركة يوم السبت 27 / 12 / 2008 م ظهراً وانتهت يوم الإثنين 19 / 1 / 2009 م وفي هذا المقام ذكر لما حدث في قرية المغراقة، الذي يدلل على أن الله له كان مع عباده المؤمنين، حيث قصفت الطائرات أحد المنازل بقذيفة أشعلت فيه ناراً عظيمة توشك أن تمتد إلى البيوت المجاورة فتلتهمها، فوقف أحد المجاهدين يناجي ربه ويدعوه باكياً " يا من جعلت النار برداً وسلاماً على

---

[1] النصير المنير: وهبة الزحيلي، 9 / 269.
[2] انظر: التحرير والتنوير: ابن عاشور، 8 / 281.
[3] انظر: التفسير المنير: وهبة الزحيلي، 9 / 269.
[4] انظر: جامع البيان: الطبري، 9 / 236، و تفسير الشعراوي: 8 / 4600، والجامع لأحكام القرآن: القرطبي، 4 / 240، والسعدي: 278، والجلالين: البوطي والمحلي، 152.
[5] في ظلال القرآن: سيد قطب، 3 / 1485.
[6] انظر: التربية الجهادية: د. منير الغضبان، 1 / 76، والمنهج الحركي للسيرة النبوية: منير الغضبان، ص 319.
[7] انظر: فقه السيرة: منير الغضبان، ص 369، ط 1، 1417هـ - 1997 م، دار الوفاء.
[8] انظر: معالم الجهاد الحربي د. جمال اليوبي، 1 / 340.

إبراهيم أطفئ النار بقدرتك، فلم يمض سوى ثلاث دقائق وإذا بالنار تنطفئ فأجهش المجاهدون بالبكاء، لأنهم شعروا بتأييد الله واستجابته للدعاء ومعيته معهم.[9]

إذن مما سبق يتضح لنا:

معية الله النعمة من نعم الله وسبب لتحقيق النصر على الأعداء.

مهما أعد الإنسان الأسباب المحققة للنصر، فعليه ألا يغتر بما أعد ؛ لأن النصر لا يكون إلا بيد الله، فلا يجوز أن تركن للعدة والعتاد، وحنين خير شاهد على ذلك.

المطلب الثاني: الإمداد بالملائكة:

يعد الإمداد بالملائكة من النعم التي أنعمها الله على عباده المؤمنين ؛ حيث كانت الملائكة سبباً للنصر فقال تعالى: **﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ * وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ قلوبكم وَمَا النَّصْرُ إِلَّا. إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾** [الأنفال: 9].

فالاستغاثة هي " طلب الغوث وهو الإعانة على رفع الشدة والمشقة، ولما كانوا يومئذ في شدة ودعوا بطلب النصر على العدو القوي كان دعاؤهم استغاثة فاستجاب لكم أي وعدكم بالإغاثة"[10]

وهو إبقاء الحياة، حيث يطلب المقاتلون الغوث من الله سبحانه وتعالي في حالة الحرب التي قد يفنى فيها الجميع، وعبر عنها بضمير الجمع كأنهم جميعاً يستغيثون في وقت واحد[11] أما **إعطاء المدد** فهو الزيادة من الشيء النافع، وخاصة التي تجيء للجيش؛ لأن الجيش إذا وجه بمعارك لا يستطيع أن يقوم بها للعدد الموجود من الرجال أو السلاح، حينئذ يطلب قائد الجيش إرسال المدد من الرجال والعتاد.[12] فالمسلمون لما نزلوا ببدر رأوا كثرة المشركين وعلموا أنه لا بد من قتال الطائفة ذات الشوكة وهم النفير ورأوا كثرة عدد النفير وقلة عددهم استغاثوا واستجاروا بالله الله من عدوهم ودعوه لينصرهم عليه، فأجاب دعاءهم وأمدهم بألف من الملائكة يردف بعضهم بعضاً، ويتلو بعضهم بعضاً، فيتقدم بعضهم ويعقبه الآخر، وهكذا تتابع الملائكة وهذه هي الطليعة ثم تبعها آخرون فصاروا ثلاثة آلاف ثم خمسة آلاف.[13] ولقد كان حلول الملائكة بكيفية يعلمها الله تعالى، فهو إما بتجسيم المجردات فيراهم من أكرمه الله برؤيتهم، وإما بإراءة الله الناس ما ليس من شأنه أن يرى عادة، وفائدة التبشير بإمداد الملائكة أن يوم بدر كان في أول يوم لقي فيه المسلمون عدوا قويا وجيشاً عديداً فبشرهم الله بكيفية النصر الذي ضمنه لهم، حيث أمدهم بجيش من الملائكة ؛ لأن النفوس أميل إلى المحسوسات، فالنصر معنى من المعاني يدق إدراكه، وسكون النفس تتصوره بخلاف الصور المحسوسة من تصوير مدد الملائكة ورؤية أشكال بعضهم[14] (1) ولقد وضحت الآية الكريمة أن الملائكة كانت أمام المسلمين ؛ لأن جيش المسلمين كان قليل العدد وجيش الكفار كان كثير العدد وجاءت الملائكة لتكثير عدد جيش المسلمين، فلو كان العدد مكوناً من ألف مقاتل، فقد أرسل الله ملائكة بنفس العدد ويزيد بذلك جيش المؤمنين بعدد الملائكة، ولو أرسل الله ملكاً واحداً لكان يكفي، حيث إن جبريل - عليه السلام - بريشة من جناحه اقتلع مدائن قوم لوط، وأهلك بلاد ثمود قوم صالح بصيحة واحدة[15].

---

[9] لمعرفة المزيد عن الكرامات انظر: مجلة معركة الفرقان من إصدارات مجلس طلاب الجامعة الإسلامية: آيات الرحمن في معركة الفرقان: بقلم د. عبد الرحمن الجمل، ص 4 - 7 - 1430 هـ - 2009 م.

[10] التحرير والتنوير: ابن عاشور - 8 / 275

[11] انظر: تفسير الشعراوي: 8 / 4587

[12] انظر: التحرير والتنوير: ابن عاشور 80 / 275، وتفسير الشعراوي: 8 / 4588 - 4589..

[13] انظر: جامع البيان: الطبري، 9 / 226، وفتح القدير: الشوكاني، 2 / 370، والجامع لأحكام القرآن: القرطبي، 4 / 370، والتحرير والتنوير: ابن عاشور، 8 / 275، والتفسير المنير: وهبة الزحيلي، 9 / 263، والسعدي: 278.

[14] انظر التحرير والتنوير: ابن عاشور، 8 / 276 - 277.

[15] انظر: تفسير الشعراوي: 8 / 4588 - 4589، والتفسير المنير، وهبة الزحيلي: 9 / 263.

و عن قتال الملائكة فقد ذهب البعض أن الملائكة لم تقاتل وإنما كان لهم تقوية معنوية، فكانوا يكثرون السواد ويثبتون المؤمنين[16].

ولقد أمد الله * المؤمنين بالملائكة وخاصة بعد دعاء النبي * لذلك حيث ثبت من حديث عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أن عدد المشركين يوم بدر ألف وعدد المسلمين ثلثمائة وسبعة عشر رجلاً، فلما رأى ذلك استقبل القبلة ثم مد يديه فجعل يهتف بربه **(اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم آتني ما وعدتني. اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض)**[17] [18].

وفي سيرة ابن هشام عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: كانت سيما الملائكة يوم بدر عمائم بيض قد أرسلوها على ظهورهم، **ويوم حنين** عمائم حمراً، إلا أن جبريل - عليه السلام – فإنه كانت عليه عمامة صفراء، والملائكة لم تقاتل في يوم من الأيام سوى بدر، وكانوا يكونون فيما سواء من الأيام عددا ومددا لا يضربون.[19] وعنه أيضا قال: (وأمد الله نبيه والمؤمنين يألف من الملائكة فكان جبريل في خمسمائة من الملائكة مجنبة، وميكائيل في خمسمائة مجنبة)[20].

وهذه الرواية في السيرة النبوية توضح الإمداد بالملائكة: (وأغنى رسول الله إغفاءة واحدة ثم رفع فقال: أبشر يا أبا بكر، هذا جبريل على ثناياه النقع (أي الغبار)، وفي رواية ابن اسحاق قال رسول الله: (أبشر يا أبا بكر أناك نصر الله. هذا جبريل أخذ بعنان فرسه يقوده وعلى ثناياه النقع)[21].

وروي أن أبا جهل قال لابن مسعود: (من أين كان الصوت الذي نسمع ولا نرى شخصا: قال هو من الملائكة، فقال: هم عليونا لا أنتم)[22].

ولقد كان ابليس يقاتل في صف المشركين، وكان في صورة سراقة بن مالك فلما رأى ما تفعل الملائكة والمؤمنون في ناكصاً على عقبيه حتى ألقى بنفسه في البحر[23].

هذا وإن قتال الملائكة مع المؤمنين لا يقلل من أهمية قيام المؤمنين بواجبهم في القتال على أنم وجه وأكمله، فهم قاتلوا قتالاً مستمينا استحقوا به كل تقدير، حيث ورد في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال لعمر لما شاوره في قتل حاطب بن أبي بلتعة[24] (إنه شهد بدرا، وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم)[25]. ولقد كان إرسال الملائكة لتكثير العدد أمام العدو وذلك ليزداد العدو رهبة من المؤمنين، ويزداد المؤمنين قوة في صفوفهم[26] هذا من جهة، ومن جهة أخرى فالأمر للمؤمنين أن لا يفتنوا حتى بالملائكة لأن النصر لا منهم ولا من الملائكة، ولكن النصر من عند الله له فهو الذي ينصر فلا بد أن يكون المؤمنون على ثقة من نصره سبحانه، فالبشر مع البشر يظنون الانتصار من قبل الحرب، ومن الجائز أن يغلب الطرف الآخر، لكن النصر الحقيقي من العزيز القاهر الغالب الذي لا

---

[16] انظر: التفسير المنير: وهبة الزحيلي، 9 / 263.

[17] صحيح مسلم: كتاب الجهاد والسير، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر وإباحة العالم، ص 700، ح 1763.

[18] انظر: فتح القدير: الشوكاني، 2 / 370، والتربية الجهادية: منير الغضبان، 1 / 308.

[19] انظر: سيرة ابن هشام: 2 / 245.

[20] انظر: التفسير المنير: وهبة الزحيلي - 9 / 264.

[21] انظر: الرحيق المختوم، 237، والسيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية: مهدي أحمد، 353، ط 1 ، 1412هـ - 1992 م. ومقومات النصر في ضوء القرآن والسنة، د. أحمد عوض أو الشباب، 1 / 256.

[22] انظر: التفسير المنير: الرحيلي: 9 / 254، وفي رحاب التفسير: الشعراوي - 8 / 4500.

[23] انظر السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية: مهدي أحمد، 353.

[24] حاطب بن أبي بلتعة اللخمي: (586) - 650 م) (35ق هـ - 30هـ) صحابي، شهد الوقائع كلها مع رسول الله، وكان من أشد الرماة في الصحابة، وكانت له تجارة واسعة، بعثه النبي، بكتابه إلى المقوقس صاحب الإسكندرية، ومات في المدينة وكان أحد فرسان قريش وشعرائها في الجاهلية. الأعلام: الزركلي، 2 / 159.

[25] صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أهل بدر وقصة حاطب بن أبي بلتعة، ص 1074 ح 2494، وانظر النفير المنير: وهبة الزحيلي، 1 / 265..

[26] انظر: تفسير الشعراوي: 8 / 4588.

يغلب وهو الله له حيث قال تعالى: ﴿ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾ [الأنفال: ٩]، ولقد نبه أن النصر من عنده وحده لا من الملائكة فلولاه لما انتفع بكثرة العدد والعدد.

والنصر من عند الله يكون بالسيف ويكون بالحجة، فالنصر ليس بكثرة عدد ولا عدد، فالله هو العزيز الذي لا يغاليه مغالب، وهو القهار الذي يخذل من بلغوا من الكثرة، ومن العدد والآلات ما بلغوا[27].

وترى الباحثة أن مهمة الملائكة في معركة بدر تمثلت فيما يلي:

تبشير للمؤمنين: حيث قال تعالى: ﴿ **وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى** ﴾ يقول الشعراوي في هذه الآية: " وما أن بدأت المعركة حتى بدأ توالي النعم التي سوف تفي بالنصر ؛ إمداد بالملائكة بشرى لتطمئن القلوب، وثقة من أن النصر من عند الله العزيز الحكيم "[28].

تطمين قلوب المؤمنين: حيث قال تعالى: ﴿ **وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ﴾ يقول سيد قطب في هذه الآية: "وإنه لحسب العصبة المؤمنة أن تشعر أن جند الله معها لتطمئن قلوبها وتثبت في المعركة، ثم يجيء النصر من عند الله وحده، حيث لا يملك النصر غيره وهو القادر الغالب على أمره وبحل كل أمر محله[29].

وفي نفس المقام يقول الشعراوي: " واعلموا أن الملائكة هي لطمأنة القلوب لكن الحق يريد أن يعذبهم بأيديكم أنتم لأن الله يريد أن يربي المهابة لهذه العصبية بالذات بحيث يحسب لها الناس ألف حساب[30].

تثبيت قلوب المؤمنين في صفوف القتال: قال تعالى: ﴿ **إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ** ﴾ [الأنفال: 12] فأمد الله المسلمين بالملائكة للبشرى لهم بالنصر وتطمين قلوبهم وتثبيتها[31].

4 قتال الملائكة مع المؤمنين في أرض المعركة: قال تعالى: ﴿ **فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ** ﴾ ؛ حيث إن المشركين هم الذين رأوا أعداد الملائكة تنضم للجيش الإسلامي، ولقد نقل تلك الصورة الذين أسلموا وحسن إسلامهم من المشركين ولم يقتلوا في بدر[32].

ولقد وردت عدة روايات توضح مشاركة الملائكة في غزوة بدر، قال ابن عباس: (بينا رجل من المسلمين يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه إذ سمع ضربة بالسوط فوقه، وصوت الفارس يقول: أقدم حيزوم، فنظر إلى المشرك أمامه، فخر مستلقياً فنظر إليه فإذا هو قد حطم أنفه وشق وجهه كضربة السوط فاخضر[33] ذلك أجمع، فجاء الأنصاري فحدث بذلك رسول الله * فقال: * صدقت، ذلك من مدد السماء الثالثة، فقتلوا يومئذ سبعين وأسروا سبعين)[34]. وفي رواية أخرى قال أبو داود المازني: (إني لأتبع رجلاً من المشركين لأضربه إذ وقع رأسه قبل أن يصل إليه سيفي فعرفت أنه قد قتله غيري، وجاء رجل من الأنصار بالعباس بن عبد المطلب أسيراً فقال العباس: إن هذا والله ما أسرني، لقد أسرني رجل أجح *، ومن أحسن الناس وجهاً على فرس أبلق وما أراه في القوم، فقال الأنصاري: أنا أسرته يا رسول الله، فقال: اسكت فقد أيدك الله بملك كريم)[35].

---

[27] انظر: المرجع السابق: ٨ / ٤٥٩١، والجامع لأحكام القرآن: القرطبي، ٤ / ٣٧٠، السعدي: ٢٧٨.

[28] تفسير الشعراوي: ٨ / ٤٥٩٢.

[29] في ظلال القرآن: سيد قطب، ٣ / ١٤٨٤

[30] تفسير الشعراوي، ٨ / ٤٥٩٠.

[31] انظر: فتح القدير - الشوكاني (2 / 370.

[32] انظر: التربية الجهادية: د. منير الغضبان، 1 / 79.

[33] اخضر: انقطع.

[34] صحيح مسلم: كتاب الجهاد والسير، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر وإباحة الغنائم، ص 700، ح 1763، وانظر الرحيق المختوم: المباركفوري - 238.

[35] انظر: الرحيق المختوم: المباركفوري، 238.

ويقول سيد قطب: " ويحسبنا أن نعلم أن الله لم يترك العصبة المسلمة وحدها في ذلك اليوم وهي قلة والأعداء كثرة، وإن أمر هذه العصبة وأمر هذا الدين قد شارك فيه الملأ الأعلى مشاركة فعلية على النحو الذي يصفه الله سبحانه في كلماته[36].

إذن خلاصة القول فيما سبق:

تعتبر الملائكة من النعم التي أمد الله بها المؤمنين في غزو بدر حتى تكون سبباً لتحقيق النصر، والأمر لا يقتصر على عهد النبي ﷺ بل يستمر إلى قيام الساعة، وهذا المعنى أكد عليه د. جمال اليوبي في رسالته، حيث بين أن الملائكة جند الله يؤيد بهم المجاهدين في كل زمان ومكان إذا شاء، وينصرونهم بنصر الله ويطمئنون قلوبهم ويثبتونهم ويعينونهم ويرشدونهم الخير، ويقاتلون معهم، وغير ذلك مما لا يمكن حصره فيجب على المجاهد أن يعتقد أن جميع الملائكة جنود الله إذا شاء سخرهم لنصرتهم في الجهاد، وهذا مما يُشعر المؤمنين أن الله معهم إذا شاء أمدهم بالجنود من الملائكة، ومن كان الله معهم والملائكة إلى جانبهم فما ظنهم؟[37] وهذا ما حدث في معركة الفرقان التي خاضها المسلمون مع أعداء الله اليهود ؛ حيث أمد الله سبحانه وتعالي عباده المؤمنين بالملائكة. **والبيان كما يلي:**

أخبر أحد المجاهدين في ميدان المواجهة في المغراقة والطائرات من فوقهم وهم لا يستطيعون الحركة، وإذا بعمامة من فوقهم تظللهم وتخفيهم عن الطائرات فتحركوا من مكانهم دون أن يصيبهم أذى.

وكذلك أخبر أحد المجاهدين وقد كان يرابط عند عبوة أرضية قال: والقذائف تتساقط من حولي وقد أصبحت في مواجهة الدبابات فقلت في نفسي أنسحب إلى مكان أكثر أمناً، وإذا بي أسمع صوتاً يقول لي: اثبت في مكانك فمكثت في مكاني والسكينة تملأ قلبي وقد أكرمني الله تعالى بتفجير الدبابة[38].

المطلب الثالث: التغشية بالنعاس.

تعد التغشية بالنعاس هي النعمة الثانية التي أمد الله سبحانه وتعالي بها عباده المؤمنين بعد الإمداد بالملائكة يوم بدر حيث قال تعالى: ﴿ **إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ** ﴾ [الأنفال: 11]، حيث ألقى الله سبحانه وتعالي عليهم النعاس ليكون أماناً لهم من الله أن يغلبهم عدوهم وهو في الحرب سنة من الله[39].

بل إن قصة النعاس قصة حالة نفسية عجيبة لا تكون إلا بأمر الله وقدره وتدبيره، حيث فيه مدد من أمداد الله للعصبية المسلمة يوم بدر.[40]

وبعد التعامل من آيات الله سبحانه وتعالي في أن يهب الإنسان راحة مؤقتة وليست نوماً، فالنعاس عبارة عن السنة الأولى التي تأخذ الإنسان عندما يريد النوم، وهي ليست بنوم، بل فتور في الأعصاب يعقبه النوم، ولقد جاء بكلمة ﴿ أَمَنَةً ﴾ لتهدئة أعماق المؤمنين في الأجواء المحيطة بهم، حيث كان عدد العدو كثيراً وهم بلا عداد، فشاء الله سبحانه وتعالي ألا يضيع منهم الطاقة اللازمة للمواجهة، ولا تتبدد طاقتهم في الفكر، فجعل نعاسهم مخصوصاً يغلبهم، وهو (نعاس أمنة) ولقد جعله الله آية، حيث جاءهم كلهم في وقت واحد، وهذه تكفي وحدها أن تكون آية من آياته سبحانه، ولو غلبهم النوم العميق لمال عليهم الأعداء ميلة واحدة، ولكنهم أخذوا قسطاً قليلاً من الراحة التي فيها شيء من اليقظة[41].

---

[36] في ظلال القرآن: 3 / 1483

[37] انظر: معالم الجهاد الحربي: 1 / 340.

[38] لمعرفة المزيد عن الكرامات انظر: مجلة معركة الفرقان من إصدارات مجلس طلاب الجامعة الإسلامية: آيات الرحمن في معركة الفرقان: بقلم د. عبد الرحمن الجمل، ص 4 - 7، 1430 هـ - 2009 م.

[39] انظر: جامع البيان: الطبري، 9 / 231.

[40] انظر: الظلال: سيد قطب، 3 / 1484، ومختصر تفسير ابن كثير، اختصار وتحقيق محمد علي الصابوني، 2 / 90.

[41] انظر: تفسير الشعراوي: 8 / 4593، 4596.

ولقد أسند الله سبحانه وتعالي الإغشاء أو التغشية ؛ إليه لأنه هو الذي قدر للمؤمنين أن يناموا في وقت واحد لا ينام في مثله الخائف، ولا يكون عاماً سائر الجيش فهو نوم منحهم الله إياه لفائدتهم، ولقد كان النعاس لهم أمناً ليزيل أثر الخوف والرعب من نفوسهم وقلوبهم فلما قاموا واستيقظوا وجدوا نشاطاً، ونشاط الأعصاب يكسب صاحبه شجاعة ويزيل شعور الخوف الذي فيه فتور الأعصاب، ولقد أراحهم من عناء السير، وليكون ذلك للمؤمنين علامة على النصر والطمأنينة، وقيل أن النوم غشيهم في حال التقاء الصفين[42].

حيث كان التعامل على الأصح في الليلة التي كان القتال من عدها، ولقد عم الجمع العظيم في حالة الخوف الشديد ليأخذ حكم المعجزة الخارقة للعادة مع ما كان بين أيديهم من الأمر المهم ولكن الله سبحانه وتعالى ربط جاشهم[43].

لذا " يجب على المجاهدين أن يعتقدوا أن النعاس سبب من أسباب النصر، يؤيد به الله جنده المجاهدين في سبيله خاصة عند الشدة والفزع والخوف والإصابات والابتلاء، وعليهم أن يسألوا الله أن يعينهم بهذا السبب في جهادهم[44].

يتضح لنا مما سبق: أن التعامل كرامة من الكرامات التي أمد الله سبحانه وتعالي بها عباده المؤمنين في معركة بدر، ولقد دلت الآية السابقة على ذلك حيث قال تعالى: ﴿ **إِذْ يُغْشِيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً** ﴾.

فهذا إن دل فإنما يدل على أن الله سبحانه وتعالي يؤيد عباده وينصرهم على أعدائهم بأي سبب من الأسباب الموجبة للنصر، ولقد كان النعاس واحداً من الأسباب، ألا تراه أمنهم من خوفهم ورعبهم؟ ألا تراه قواهم وشجعهم على مواجهة العدو؟ ألا تراه جدد نشاطهم بعد فتور أعصابهم؟ وبذلك تبين أن التعامل علامة للنصر يؤيد الله بها عباده في كل زمان ومكان إلى قيام الساعة، وليس الأمر مقصوراً على غزوة بدر فحسب، بل وقتما تتطلب الحاجة فإن الله يؤيد به عباده ويلقيه عليهم عند اللقاء أي صفين للقتال في أي زمن من الأزمان.

المطلب الرابع: المطر.

يُعد المطر من النعم التي أنعمها الله سبحانه وتعالي على عباده المؤمنين يوم بدر، حيث قال تعالى: ﴿ **وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويُذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام** ﴾ [الأنفال: 11]، أنزل الله سبحانه وتعالي من السماء يوم بدر مطراً ليطهر به المؤمنين لصلاتهم ؛ لأنهم كانوا قد أصبحوا في ذلك اليوم مجنبين على غير ماء ؛ فلما أنزل الله عليهم الماء اغتسلوا وتطهروا، وكان الشيطان قد وسوس لهم بما حزنهم به قلوبهم، حيث ثبت بذلك المطر أقدامهم[45] .

ولقد ورد أن الكفار يوم بدر سبقوا المؤمنين إلى ماء بدر فنزلوا عليه، وبقي المؤمنون لا ماء لهم، فوجدت نفوسهم و عطشوا وأجنبوا وصلوا فقال بعضهم في نفوسهم بإلقاء الشيطان إليهم: نزعم أنا أولياء الله وفينا رسوله وحالنا هذه والمشركون على الماء، فأنزل الله المطر ليلة بدر السابعة عشرة من رمضان حتى سالت الأودية، فشربوا وتطهروا وسقوا الظهر وتلبدت السبخة التي كانت بينهم وبين المشركين حتى ثبتت فيها أقدام المسلمين وقت القتال[46] حيث كان إنزال المطر منه أخرى من الله سبحانه وتعالي في وقت الحاجة ولقد أسند الله سبحانه وتعالي الإنزال إليه لينبه على أنه أكرمهم به، وذلك لكونه أنزله لهم في وقت احتياجهم إلى الماء، وقد يكون إنزاله في وقت غير معتاد فيه لنزول المطر في أفقهم[47].

وترى الباحثة أن الحكمة من إنزال المطر هي كما يلي:

---

[42] انظر: التحرير والتنوير: ابن عاشور، 8 / 278، وتفسير السعدي: 278، والتفسير المنير: وهبة الزحيلي، 9 / 266، وفتح القدير: الشوكاني، 2 / 372، والتربية الجهادية: منير الغضبان، 1 / 309.

[43] انظر: التفسير المنير: وهبة الزحيلي - 9 / 266.

[44] معالم الجهاد الحربي: جمال اليوبي، 1 / 355

[45] انظر: جامع البيان: الطبري - 9 / 232.

[46] انظر الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، م 4، 7 / 237.

[47] نظر: التحرير والتنوير: ابن عاشور - 8 / 279

1. تطهير المؤمنين به: حيث قال تعالى: ﴿ **ليطهركم به**) وضح الشعراوي في هذا المقام أن الله له أراد أن يطهرهم مما كانوا فيه حيث كانت الرغبة في تطهير أجسامهم وخاصة بعد أن ظمئ المسلمون والنشطوا بالعطش، فأنزله بعد أن وسوس الشيطان لهم في أنهم مجنبون، فكيف يصلون مجندين محدثين فكان المطر للتطير به[48].

ونرى أن التطهير منعوي وحسي أما الحسي فهو ما وضحه الشعراوي سابقاً حيث طهارة الجسم من الحدث الأصغر والأكبر، أما المعنوي فهو من وسوسة ورجز الشيطان حيث قال تعالى في الآية نفسها: ﴿ **ويذهب عنكم رجز الشيطان**). وعن الحكمة في إضافة الرجز إلى الشيطان يقول ابن عاشور: " لأن غالب الجيش لما ناموا اظلموا فأصبحوا على جنابة، وذلك قد يكون خواطر الشيطان يخيلها للقائم ليفسد عليه طهارته بدون اختبار طمعا في تناقله عن الاغتسال حتى يخرج وقت صلاة الصبح، ولأن فقدان الماء يلطهم إلى البقاء في تنجس الثياب والأجساد، والنجاسة تلائم طبع الشيطان.[49]

2. **الربط على قلوب المؤمنين**: حيث قال تعالى: (**وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ** ﴾ - أي بالصبر والإقدام على مجالدة الأعداء وهو شجاعة الباطن[50].

3. **تثبيت الأقدام في أرض المعركة**: وهذه هي التي يستشعر بها المقاتل تحقيق النصر؛ حيث قال تعالى: (ويثبت به الأقدام) فلما نزل المطر تثبيت الأرض عند المسلمين فصار السير أمكن لهم، أما السير في أرض المشركين فقد صار منيعًا، فأمكن للمسلمين السبق إلى الماء من بدر ونزلوا عليه وادخروا ماءً كثيرًا من ماء المطر، وذلك بعدما كان طريق المسلمين رملاً لينًا تسوخ فيه الأرجل فشق على المسلمين إسراع السير إلى الماء، أما أرض طريق المشركين ملبدة، فلما نزل المطر ساعد المسلمين على التحرك والسير، فنزول المطر جعل الأرض ثابتة ولا تثير الغبار أو الرمال[51].

وبذلك يتم المدد الروحي بالمدد المادي وتسكن القلوب بوجود الماء، وتطمئن الأرواح بالطهارة وتثبت الأقدام بثبات الأرض وتماسك الرمال ويذهب رجس الشيطان[52].

إذن خلاصة القول فيما سبق:

أن المطر سبب من أسباب النصر، وأن الله له مؤيد به جنده المجاهدين في كل زمان ومكان، ومتى اقتضت الحاجة لذلك؛ حيث به تكون الطهارة وثبات الأقدام على أرض المعركة، وبه يكون الربط على القلوب، وكل ذلك يؤدي إلى نصرة المؤمنين وهزيمة المشركين، فلذلك حيث قال: " يجب على المجاهدين أن يعتقدوا أن ماء المطر جندي من جنود الله يجعله سبباً لنصرة أوليائه المجاهدين في سبيله إذا شاء، وهذا مما يظهر لهم أن الله معهم، وأن جنده من الماء معهم إذا شاء أمدهم به وأنزله عليهم لنصرتهم ولهزيمة أعدائهم[53].

إذن يجب علينا أن نعتقد اعتقاداً جازماً أن المطر سبب للنصر وأن الله ﷻ لا يترك نصرة عباده المؤمنين، ولو بأقل الأسباب الموجبة للنصر، فماذا بالمطر الذي تسوخ فيه الأقدام في المعركة فيسبب هزيمة المشركين؟

فلو نظرنا إلى الأحداث التي كانت جارية على قطاع غزة في معركة الفرقان بينما كانت الحرب دائرة بين المقاومين واليهود تجد أن الله ﷻ قدر أن تتساقط الأمطار ما بين صلاة المغرب وصلاة العشاء في يوم عاشوراء، الثلاثاء الموافق 10 / محرم / 1426 هـ، 6 / 1 / 2009 م. بينما اشتد الوطيس في منطقة الزيتون خاصة، وجميع المناطق عامة فهذا إن دل فإنما يدل على ما يلي:

1. تأييد الله ﷻ لعباده المؤمنين عامة والشعب الفلسطيني خاصة في كل زمان ومكان بالأسباب الموجبة للنصر.

---

[48] انظر: الشعراوي: 8 / 4597.
[49] التحرير والتنوير: ابن عاشور 8 / 279.
[50] التفسير المنير: وهبة الزحيلي، 9 / 266.
[51] انظر: سيرة ابن هشام: 2 / 232، و التحرير والتنوير: ابن عاشور، 8 / 279، والتفسير المنير: وهبة الزحيلي، 9 / 267 و شعراوي: 8 / 4598.
[52] انظر: الظلال سيد قطب، 3 / 1485، والرحيق المختوم: المباركفوري، 230
53 معالم الجهاد الحربي: د. جمال اليومي، 1 / 343.

2. سنة الله ﷻ واحدة في هزيمة الأعداء حيث إن للمطر دوراً في الهزيمة كما سبق وبينا من حيث تثبيت أقدام المؤمنين في أرض المعركة وتحقيق النصر لهم، وفي المقابل تسوخ أقدام الأعداء ودباباتهم. هذا من جهة، ومن جهة أخرى فقد هزم الله ﷻ فرعون بالغرق في البحر، حيث قال تعالى: ﴿ **فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِ** ﴾ [الأعراف: 136]، وأيد نوح بالطوفان، حيث قال: ﴿ **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَاماً فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ** ﴾ [العنكبوت: 14]، فهذا إن دل فإنما يدل على أن الله ﷻ يؤيد عباده بأسباب النصر، فالماء بكافة أشكاله سواء كان بالمطر أو البحر أو الطوفان كله سبب للنصر.

ولولا طول موضوع الدراسة لذكرت نماذج عديدة في هذا المقام عن أحوال الأقوام الذين هزمهم الله ﷻ بذلك.

المطلب الخامس: إلقاء الرعب:

من العظيم أن تكون الأسباب الموجبة للنصر مادية محسوسة كالرمي والمطر والريح وغيرها، ولكن من الأعظم أن يكون السبب الموجب للنصر معنوياً ألا وهو الرعب. فلقد ألقي الله سبحانه وتعالي في قلوب الأعداء الرعب، حيث قال تعالى: ﴿ **إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ** ﴾ [الأنفال: 12]، أي " سأرعب الذين كفروا بي أيها المؤمنون منكم، وأملؤها فرقاً حتى ينهزموا منكم، فاضربوا فوق الأعناق "[54]. حيث ألقى الله سبحانه وتعالي الرعب والخوف في قلوب الكافرين، وهذا من النعم الجليلة التي أنعمها الله سبحانه وتعالي على عباده المؤمنين في غزوة بدر، فلقد كان الرعب أعظم جند للمؤمنين على الكفار ؛ لأنه إذا ثبت المؤمنين وألقى الرعب في قلوب الكافرين، والذلة والصغار عليهم بسبب مخالفة أمر الله وتكذيب رسوله، فهم مهما كان عددهم وعدتهم فسيترك الأعداء كل ما معهم ويفرون من حالة الرعب والفزع، وقد فعل ذلك بعض من الكفار[55].

ويبين الرازي أن الرعب هو الخوف الذي يحصل في القلب، وهو من النعم التي أنعمها الله على المؤمنين في بدر ؛ لأن أمير النفس هو القلب، فلما بين - تعالى - أنه ربط قلوب المؤمنين وقواها وأزال الخوف، ذكر هذا أنه ألقى الرعب والخوف في قلوب الكافرين فكان ذلك من أعظم النعم عليهم[56]. حيث إنه " لا معونة أعظم من إلقاء الرعب في قلوب الكفرة، ولا تثبيت أبلغ من ضرب أعناقهم، واجتماعهما غاية في النصرة[57].

ولقد أسند الله سبحانه وتعالي إلقاء الرعب إليه وليس إلى الملائكة، وجعل الله الرعب في قلوب المشركين بواسطة أخرى غير الملائكة ؛ لأن الرعب خاطر شيطاني تميم فهو رعب شديد قدره على كيفية خارقة للعادة فكان إلقاء الرعب فيه فائدة للمسلمين وهو مبارك[58]

"والجنود أو الجيوش المرعوبة الخائفة الفزعة لا تنفع في القتال صائرة إلى الهزيمة لا محالة مهما بلغت كثرتها ومهما كانت عدتها؛ ذلك أن الفزع الخائف المرعوب لا ينفعه سلاح أو أي شيء وإنما همه منصب على الهروب والفرار والنجاء بنفسه عن القتل أو الأسر[59]

إذن. مما سبق ينضح لنا أن الرعب سبب من أسباب النصر، يلقيه الله في قلوب المشركين مؤيدا به عباده المؤمنين، فما يبقى أمام الكفار سوى الفرار أو الاستسلام سواء على صعيد غزوة بدر أو أي مواجهة مع الأعداء فلو تأملنا حال المؤمنين في معركة الفرقان على أرض غزة، والتي حدثت مجدداً في عام 2009 م لوجدنا أن الأعداء، وهم اليهود، كانوا يقاتلون بصواريخهم ودباباتهم من صناعات يهودية وأمريكية حديثة الصنع أمام المقاومين الفلسطينيين الذين ليس

---

[54] جامع البيان: الطبري، 9 / 236.

[55] انظر: التفسير المنير: وهبة الزحيلي، 9 / 271، وتفسير السعدي: ص 278، و تفسير الشعراوي: 8 / 4601، ومختصر تفسير ابن كثير: تحقيق محمد الصابوني، 2 / 91

[56] التفسير الكبير: 15 / 135. وانظر: معالم الجهاد العربي: د. جمال اليومي، 1 / 347.

[57] الكشاف: الزمخشري: 2 / 411.

[58] انظر: التحرير والتنوير: ابن عاشور، 8 / 282.

[59] معالم الجهاد الحربي: جمال اليوبي، 1 / 349..

لديهم إلا أسلحة بسيطة لا تساوي شيئًا أمام الدبابات والصواريخ، لكن لو نظرنا حال المؤمن و حال الكافر لوجدنا أن المؤمن المقاوم، رغم قلة أسلحته وبساطتها، فإنه يقاوم بنفس راضية مطمئنة شجاعة، وفي المقابل فإن العدو يقاتل ويضرب بصواريخه بكل خوف وجزع من أن يقتله المقاوم الفلسطيني بسلاحه البسيط، وشتان بين هذا وذاك، فالمؤمن يرجو من الله النصر أو الشهادة، والعدو لا يرجو إلا أن يأمن على نفسه من أن يقتله المقاوم بعد أن ملئ قلبه بالرعب من شجاعة المقاوم، فهو حريص على حياته بأي شكل من الأشكال، وهذا ما رأيناه بعد انتهاء معركة الفرقان بين اليهود والفلسطينيين فالسبب الوحيد الذي جعلهم ينهوا هذه المعركة هو رعبهم وجزعهم وخوفهم على حياتهم، حتى اضطروا إلى اللجوء لعقد البنود والاتفاقيات وتوسيط الدول ليتم إيقاف المعركة بين الحق والباطل، ولقد قال تعالى: (**ولتجدتهم أحرص الناس على حياة**) [سورة البقرة: 96] 1. هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن المتتبع لحالهم أثناء الحرب يجد أن شدة الرعب جعلتهم لا يكادون يغادرون دباباتهم، بل كانوا يحدثون فيما يلبسونه تحت ملابسهم ومخلفاتهم التي وجدت بعد اندحارهم عن الأرض المقدسة ما دل على شدة الرعب التي كانوا يعيشونها أثناء الحرب فدفعوا إلى إيقافها.

المطلب السادس: الرمي بالتراب أو الحصى:

الرمي بالتراب من النعم التي أمد الله سبحانه وتعالي بها عباده في معركة بدر، حيث قال تعالى: ﴿ **فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَناً إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** ﴾ [الأنفال: 17]، - أكثر أهل التفسير أن الآية نزلت في رمي النبي ﷺ القبضة فلم يبق عين مشرك إلا دخلها منه شيء، قال حكيم بن حزام: لما كان يوم بدر سمعنا صوتاً وقع من السماء إلى الأرض كأنه صوت حصاة وقعت في طست، ورمى رسول الله ﷺ تلك الحصاة فانهزمنا، فذلك قوله تعالى: ﴿ **وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى** ﴾[60] وفيما روي حول الرمي " وأغفى رسول الله ﷺ إغفاءة واحدة ثم رفع رأسه فقال: (أبشر يا أبا بكر: هذا جبريل على ثناياه النقع (أي الغبار) - وفي رواية ابن إسحاق: قال رسول الله ﷺ: " أبشر يا أبا بكر، إنك نصر الله، هذا جبريل أخذ بعنان فرسه يقوده وعلى ثناياه النقع، ثم خرج رسول الله من باب العريش وهو يبيت في الدرع ويقول: ﴿ **سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ** ﴾ [القمر: 45] ثم أخذ حفنة من الحصباء، فاستقبل بها قريشاً، وقال (شاهت الوجوه) ورمى بها في وجوههم، فما من المشركين من أحد إلا أصاب عينيه ومنخريه وفمه من تلك القبضة وفي ذلك أنزل الله ﴿ **وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى** ﴾ [الأنفال: 17] [61]". والمراد بالرمي: هي رمية الحصى التي رماها النبي ﷺ في وجوه الكفار يوم بدر وهو يقول: (شاهت الوجوه - شاهت الوجوه) فأصابت وجوه المشركين وعيونهم ممن كتب الله عليهم القتل[62].

وحقيقته: " إلقاء شيء أسكنه اليد، ويطلق الرمي على الإصابة بسوء من فعل أو قول[63]

و النبي ﷺ لم يرم الرمية على الحقيقة ؛ لأنه لو رماها لما بلغ أثرها إلا ما يبلغه أثر رمي البشر ولكنها كانت رمية الله حيث أثرت ذلك الأثر العظيم، ولكن الله أثبت الرمية لرسول الله ؛ لأن صورتها كانت منه ﷺ ولكنه نفاها عنه ؛ لأن أثرها الذي لا تطيقه البشر من فعل الله سبحانه وتعالي فكأن الله هو فاعل الرمية على الحقيقة، حيث لما ظهر من أثرها ما عم الجيش كلهم علم انتفاء أن تكون الرمية مدفوعة بيد مخلوق ولكنها مدفوعة بقدرة الخالق الخارقة عن الحد المتعارف، وكأنها لم توجد من الرسول. فالتسبيب والتسديد من الله سبحانه وتعالي ولكن الرسول كبتهم بها[64] . فالمعنى أنه وما رميت يا محمد الفزع والرعب في قلوبهم إذ رميت بالحصباء فانهزموا، ولكن الله أعانك وأظفرك[65]. والذي يؤكد على أن الله سبحانه وتعالي له نصر المؤمنين وهزم الكافرين برمية الحصباء أنه بعد رمية رسول الله ﷺ انكسر

---

[60] أسباب النزول: الواحدي، ص 174.

[61] انظر: السيرة النبوية: ابن هشام، 1 / 458، دار الحديث، والرحيق المختوم: المباركفوري، 237. و مختصر تفسير ابن كثير: 2 / 93.

[62] انظر: الظلال: سيد قطب، 3 / 1490، والتحرير والتنوير: ابن عاشور - 8 / 296

[63] التحرير والتنوير: ابن عاشور، 8 / 295.

[64] انظر: الكشاف: الزمخشري، 2 / 413، جامع البيان: الطبري، 9 / 243، والتحرير والتنوير: ابن عاشور، 8 / 296، ومختصر ابن كثير، 2 / 93.

[65] انظر فتح القدير: الشوكاني، 2 / 376، الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، 7 / 245، و التحرير والتنوير: ابن عاشور، 8 / 295.

حدهم وفتر زندهم وبان في صفوفهم الفشل والضعف فهزمهم الله سبحانه وتعالي [66] وهذا ما ذكره ابن هشام في سيرته بعد ذكر رواية الرمي [... إلى أن قال] " فكانت الهزيمة[67].

إذن، " يجب على المجاهدين أن يعتقدوا أن التراب من جنود الله، يسخره لهم إذا شاء ويجعله سبباً للنصر إذا شاء، وهذا يشعرهم أن الله معهم، وأن جنده التراب معهم بعينهم في جهادهم كيفما شاء [68]

خلاصة القول فيما سبق:

إن الله سبحانه وتعالي يؤيد عباده المؤمنين بأي سبب من أسباب النصر الموجبة لذلك حتى لو كان ذلك بأقل الأشياء أو بأمر مستبعد عند البعض أن يحقق النصر ألا وهو التراب، حيث كان سبباً للنصر فأعمى الله سبحانه وتعالي به عيون المشركين وهزمهم وبدد صفوفهم، ومن كان ذلك حاله فكيف له بالنصر؟ والحق أن الهزيمة تكون ملحقة به. وأن الله سبحانه وتعالي يؤيد بذلك السبب المؤدي للنصر في أي عصر من العصور ومتى تتطلب الحاجة إليه. وهلم نقف وقفة ميسرة مع معركة الفرقان يناير 2009 م، حيث أيد الله سبحانه وتعالي به المؤمنين، فشهد لذلك أحد الجنود الصهاينة الذين شهدوا المعركة وذلك بعد أن أصيب بالعمى وكان السبب كما وضحه عبر قنواتهم أن رجلاً يلبس ملابس بيضاء رمى حفنة تراب في عينيه، فهذا إن دل فإنما يدل على أن الله سبحانه وتعالي مع عباده المؤمنين يؤيدهم بأي سبب من الأسباب الملحقة للهزيمة في صفوف العدو، فكيف بالتراب الذي يعمي العيون ويبدد الصفوف؟

المطلب السابع: التأييد بالنصر وبالمؤمنين وتأليف قلوبهم:

إن من الأسباب التي أعانت المؤمنين على تحقيق النصر في غزوة بدر تأييد الله سبحانه وتعالي لهم بالنصر وبالمؤمنين والتأليف بين قلوبهم، تلك القلوب التي لا يعلم سرها إلا هو سبحانه وتعالى حيث قال: ﴿ **وإن يُرِيدُوا أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ، وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ، يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [الأنفال: 62 - 64]، ففي سبب نزول قوله: ﴿ **وأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ** ﴾ حيث (قال النعمان بين بشير: نزلت في الأنصار ﴿ **وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ** ﴾ أي جمع بين قلوب الأوس والخزرج، وكان تألف القلوب مع العصبية الشديدة في العرب من آيات النبي ومعجزاته؛ لأن أحدهم كان يلطم اللطمة فيقاتل عنها حتى تستفيدها وكان أشد خلق الله حمية، فألف في الإيمان بينهم حتى قاتل الرجل أباه وأخاه بسبب الدين)[69] .

فالتأييد في الآية السابقة له ثلاثة عناصر وهي: **تأييد الله بالنصر**، و **تأييد الله بالمؤمنين، والتأليف بين القلوب**، حيث ألف سبحانه بين قلوبهم عندما أرسل سبحانه وتعالي إلى قوم لهم عصبية وهم قبائل متفرقة تقوم الحروب بينهم لأتفه الأسباب فدل قوله ﴿ **وأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ** ﴾ عَلَى أَن القوم كانوا قبل شروعهم في الإسلام ومتابعة الرسول في الخصومة الدائمة والمحاربة الشديدة يقتل بعضهم بعضاً ويغير بعضهم على بعض فلما أمنوا بالله ورسوله واليوم الآخر زالت الخصومات وارتفعت الخشونات وحصلت المودة التامة والمحبة الشديدة وأصبح الإسلام في قلوبهم وأعمالهم وأصبحت تربطهم رابطة الأخوة التي هي أقوى من رابطة النسب، وحين تتألف القلوب فهذا أقوى رباط ؛ لأن كل عمل يقوم به الإنسان ينشأ عن عقيدة في القلب. والتأليف بين القلوب هو جماع النواد والمساندة[70].

والتأييد ليس إلا من الله لكنه على قسمين، وهما: الأول، ما يحصل من غير واسطة أسباب معلومة معتادة، وهو المراد من قوله ﴿ **و أيدك بنصره** ﴾ والثاني، ما يحصل بواسطة أسباب معلومة معتادة وهو المراد من قوله ﴿ **وبِالْمُؤْمِنِينَ** ﴾[71].

---

[66] انظر: تفسير السعدي، 279

[67] السيرة النبوية: ابن هشام، 1 / 468.

[68] معالم الجهاد الحربي: جمال اليوبي، 1 / 341.

[69] انظر: التربية الجهادية: د. منير الغضبان 133 - 132/10

[70] انظر: تفسير الشعرواي:4786 / 8 ، والتفسير الكبير: الرازي، 190 - 189 / 15

[71] نظر: التفسير الكبير: الرازي، ....190 - 189 / 15

أما المعنى في قوله تعالى: ﴿ **أيدكم بنصره** ﴾ أي قولكم بالنصر في مواطن الحرب بالأنصار يوم بدر وقواكم بالملائكة وشد أزرك بالمؤمنين، وذلك بعدما كان عددهم قليلاً مستضعفون في أرض مكة في بداية الإسلام فأواهم إلى المدينة[72]، حيث أيد الله ﷻ نبيه بالمؤمنين الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه وجعل منهم قوة موحدة بعد أن كانت قلوبهم شتى وعداواتهم جاهزة وبأسهم شديدًا، حيث قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [الأنفال: 64]، فهو وحده كافي النبي وكافي أتباعه فلا يحتاجون معه إلى أحد[73]. فلقد أعانه الله ﷻ بمعونة سماوية وهو النصر منه الذي لا يقاومه شيء، ومعونة بالمؤمنين بأن فيضهم النصره حيث اجتمعوا وائتلفوا وازدادت قوتهم بسبب اجتماعهم ولم يكن هذا يسعى أحد ولا بقوة غير قوة الله، حيث لو أنفق النبي ﷺ الذهب والفضة وغيرهما لتأليف قلوبهم بعد تلك النفرة والفرقة الشديدة، فإنه لا يقدر على تقليب القلوب إلا الله - تعالى -، حيث بعزته ألف بين قلوبهم وجمعها بعد الفرقة، وكل ذلك كان في غزوة بدر، تلك الغزوة التي هيأ الله لها أسباب النصر المرتبة في استعداد المؤمنين للقتال ودخولهم أرض المعركة وأسبابه غير المرتبة في جنود لم يرها أحد وفي إلقاء الرعب في قلوب الكفار فكان النصر حليفاً للمؤمنين بمشيئة الله تعالى[74]

خلاصة القول فيما سبق:

يتضح لنا مما سبق أن الله ﷻ أيد رسوله بالنصر وبالمؤمنين أولئك المؤمنين الذين كانوا يريدون غير ذات الشوكة، الذين كان فيهم فريق كاره للقاء العدو، فهم أنفسهم بمن الله تعالى بهم على رسوله بتأييده بهم، إنها التربية الربانية الخالصة التي استطاع من خلالهم تحقيق النصر على العدو اللعين بعد أن كانت الفرقة والخلاف بينهم والحمية والعصبية من صفاتهم فأواهم الله وقواهم وربط على قلوبهم وجمعها على المحبة والألفة، تلك القلوب التي لا يجمعها إلا الله ﷻ حيث قال تعالى: ﴿ **لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ﴾ [الأنفال: 63]، فبعزته سبحانه وحكمته جمع شمل القلوب المتفرقة.

وبعزته وحكمته طهر القلوب من الحمية والعصبية، فأي جمع ذاك وأي تطهير هذا؟ إنه الجمع والتطهير الرباني ؛ حيث إنه كل أمة يشوبها الخلاف والنزاع لا تحقق نصرا مؤزرا، بل إنه ليطمع بها عدوها ويوم أن تتوحد الكلمة ويتوحد الصف وتتألف القلوب عندها يكون النصر المؤزر للمؤمنين، وهذا ما لمسناه بوضوح على أرض معركة بدر، وما حدث مجددا على أرض معركة الفرقان، فلقد كانوا جميعا يدا واحدة على عدوهم، فما هاجم عدو أرض المسلمين وتمكن بينهم إلا كونهم مختلفين متفرقين ويوم أن يكونوا أمة واحدة وينزعوا الحقد والغل من قلوبهم يتحقق بينهم النصر على عدوهم حيث قال تعالى: ﴿ **وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ** ﴾ [الحجر: 47]، ولقد وردت الأحاديث الدالة على التأخي والمحبة، حيث قال ﷺ (إن من عباد الله عبادا ليسوا بأنبياء يغبطهم الأنبياء والشهداء، قيل من هم لعلنا نحبهم ؛ قال: هم قوم تحابوا بنور الله من غير أرحام ولا أنساب، وجوههم نور على منابر من نور، لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن الناس...)[75] (1) .

ويقول أيضا: (إذا أحب أحدكم أخاه فليعلمه)[76] نعم فما أعظمه من تأخ وما أجمله من تواد بين المؤمنين المتأخين، وأصل التأخي هو الحب الذي يعمر قلوب المتأخين، بالحب تبني الأمة عمادها ولقد قال سيد قطب عن ذلك: " كما تشهد الأمة التي بناها على الحب أنها لم تكن مجرد كلمات مجنحة، ولا مجرد أعمال مثالية فردية: إنما كانت واقعاً

---

[72] انظر فتح القدير: الشوكاني، 2 / 384، و الكشاف: الزمخشري 2 / 415، وصفوة التفاسير: الصابوني 1 / 514 ومدارك التنزيل: النسفي: ص 410، و معالم التنزيل: البغوي، 2 / 618 - 619. دار الفكر 1405هـ - 1985 م.

[73] انظر: صفوة التفاسير: الصابوني، 1 / 514.

[74] انظر: تفسير السعدي، ص 286، و تفسير الشعراوي: 8 / 4784.

[75] صحيح ابن حبان: كتاب البر والإحسان، باب ذكر وصف المتحابين في الله في القيامة عند حزن الناس وخوفهم في ذلك اليوم، ص 267، ح 573.

[76] صحيح ابن حبان: كتاب البر والإحسان، باب ذكر الأمر للمرء إذا أحب أخاه في الله أن يعلمه ذلك، ص 266، ح 570.

شامخاً قام على هذا الأساس الثابت بإذن الله الذي لا يقدر على تأليف القلوب هكذا سواه "[77]. إذن إن تأييد الله بالنصر وبالمؤمنين وتأليف القلوب أسباب أساسية في تحقيق النصر بين صفوف المؤمنين في كل زمان ومكان، كيف لا وقد قال الله ل ﴿ **وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ** ﴾؟ [آل عمران: 126].

المطلب الثامن: توهين كيد الكافرين:

يُعد توهين كيد الكافرين سببًا من أسباب النصر، حيث قال تعالى: ﴿ **ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ** ﴾ [الأنفال: 18]، فقتل المشركين ورميهم حتى الهزيمة وإيلاء المؤمنين البلاء الحسن بالظفر بهم وتمكنهم من قتلهم وأسرهم، كل ذلك من فعل الله لهو مضعف كيدهم ومكرهم وحبلهم حتى يذلوا وينقادوا للحق ويهلكهم وتلحق بهم الهزيمة ويكون النصر للمؤمنين[78]

والمراد بكيد الكافرين قصدهم الإضرار بالمسلمين في صورة ليس ظاهرها بمضرة، وحيث إن جيش المشركين الذين قدموا لإنقاذ العير لما علموا بنجاة عيرهم وظنوا خيبة المسلمين الذين خرجوا في طلبها رفضوا أن يرجعوا إلى مكة وأقاموا على بدر ليتحروا الجزر ويشربوا الخمر ويضربوا الدفوف فرحاً وافتخاراً بنجاة عيرهم ليسمعوا العرب بذلك فيخبروهم أنهم غلبوا المسلمين فيصرفهم ذلك عن اتباع الإسلام، فأراد الله له توهينهم بهزيمتهم تلك الهزيمة الشنعاء، فهو موهن كيدهم في الحال.[79] وتوهين الله تعالى كيدهم يكون بعدة أشياء وهي إطلاع المؤمنين على عوراتهم وإلقاء الرعب في قلوبهم حتى يتشتتوا، وبتفريق كلمتهم ونقض ما أبرموا بسبب اختلاف عزائمهم حيث قتل خيارهم وأسر أشرافهم[80] .

ومما يؤكد على النصر ما يقوله ابن كثير في تفسيره: " هذه بشارة أخرى مع ما حصل من النصر فإنه أعلمهم - تعالى - بأنه مضعف كيد الكافرين فيما يستقبل، مصغر أمرهم، وأنهم كل ما لهم في دبار ودمار[81]

فكل ما حدث من قتل المشركين ونصر المؤمنين حق والهدف منه - كما سبق - إضعاف وتوهين كيد الكافرين حتى لا تقوم لهم قائمة[82].

وفي سياق الآية يقول سيد قطب: " إن التدبير لا ينتهي عند أن يقتل لكم أعداءكم بأيدكم، ويصيبهم برمية رسولكم، ويمنحكم حسن البلاء ليأجركم عليه. إنما هو يضيف إليه توهين كبد الكافرين وإضعاف تدبيرهم وتقديرهم، فلا مجال إذن للخوف ولا مجال إذن للهزيمة، ولا مجال إذن لأن يولي المؤمنون الأدبار عند لقاء الكفار، ويتصل السياق هنا بكل ملابسات المعركة، فإذا كان الله هو الذي قتل المشركين، وهو الذي رماهم، وهو الذي أدلى المؤمنين فيها ذلك البلاء الحسن وهو الذي أوهن كيد الكافرين[83]

ويبين د. جمال الهوبي أن الآية دلت على تأييد الله للمجاهدين في سبيله بسبب من أسباب النصر يتمثل في توهين كيد ومكر وتآمر وتخطيط الكافرين بما شاء الله وكيف شاء وهذا مما يؤدي إلى فشلهم وهزيمتهم وعلى ظهور الخلل في كل محاولاتهم ومن ثم يترتب على ذلك النصر المؤزر للمجاهدين[84] .

قلت: وبناء على ما سبق ينضح لنا أن توهين كيد الكافرين سبب من أسباب النصر للمؤمنين وهزيمة الكافرين في كل زمان ومكان، فمهما دبروا وخططوا ضد المسلمين، ومهما جهزوا وأعدوا من إعداداتهم فالهزيمة تلحق بهم، حيث قال تعالى: ﴿ **إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا، وَأَكِيدُ كَيْدًا فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا** ﴾ [الطارق: 15 - 17] فالتوهين والضعف

---

[77] الظلال: سيد قطب، 3 / 1549، ط 35، 1425هـ - 2005 م.

[78] انظر: جامع البيان: الطبري، 9 / 4054، الكشاف: الزمخشري، 2 / 413، فتح القدير: الشوكاني، 2 / 377، و تفسير السعدي: 279، وتقدير القاسمي، 8 / 2969.

[79] انظر: التحرير والتنوير - ابن عاشور، 8 / 297 - 298.

[80] انظر: التفسير الكبير: الرازي، 15 / 141، والجامع لأحكام القرآن: القرطبي، 4 / 245.

[81] مختصر ابن كثير: 2 / 94، وانظر تفسير القاسمي 8 / 2969، وانظر معالم الجهاد الحربي: جمال اليوبي - 350 / 1،

[82] انظر: صفوة التفاسير: الصابوني، 1 / 497..

[83] في ظلال القرآن: 3 / 1490 - 1491.

[84] انظر: معالم الجهاد العربي: 1 / 350.

والخذلان لهم من تدبير رب العالمين، فكما أوهن كيدهم وخذلهم في بدر فهو أيضاً يوهن كيدهم في كل زمان ومكان وهذا ما لمسناه على أرض معركة الفرقان في غزة، فلقد دبر اليهود وجهزوا للقضاء على المسلمين، ولكن هيهات هيهات فالله موهن كيدهم فما أن مضى أقل من شهر إلا وبدأت قوتهم تضعف وبدؤوا في طلب المصالحة وتدخل الدول العربية واضطروا للانسحاب من أرض غزة، فهذا إن دل فإنما يدل على أن القوة والعدة والعناد ليس شرطاً في تحقيق النصر إذا سلبت معية الله ﷻ، كيف لا وقد قال الله تعالى: ﴿ ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ ﴾ حيث أكدت على أنه سبحانه لا غيره مضعف كيدهم وتدبيرهم وهازمهم وناصر عباده المؤمنين؟ رغم كثرة عدد الشهداء والجرحى.

المطلب التاسع: التقليل والتكثير في الأعين:

إن التقليل والتكثير في الأعين من النعم التي امتن الله بها على عباده المؤمنين في غزوة بدر، حيث قال تعالى: **﴿ إِذْ يُرِينَهُمُ الله فِي مَنَامِكَ قَلِيلاً وَلَوْ أَرَاتَهُمْ كَثِيرًا لَفَضَلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الأمر وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ، وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الأمور)** [الأنفال: 43 - 44]، والمراد " أن التقليل الذي حصل في النوم تأكد ذلك بحصوله في اليقظة " [85]. قال مقاتل: (وذلك أن النبي رأى في المنام أن العدد قليل قبل لقاء العدو وأخبر أصحابه بما رأي، فلما التقوا بدر قلل الله المشركين في أعين المؤمنين، قال ابن مسعود - رضي الله عنه -: لقد قللوا في أعيننا حتى قلت لرجل إلى جنبي أتراهم سبعين؟ قال أراهم مائة، فأسرنا رجلاً، فقلنا: كم كنتم؟ قال: ألفا[86]. ففي الآية السابقة يخاطب الله نبيه محمد ﷺ والمؤمنين معه أن يذكروا الوقت الذي التقى فيه الجمعان فأراهم فيه عدوهم قليلا ليجترئ كل منهما على الآخر. وليس في ذلك تعارض مع الآية الكريمة: ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لأُولِي الأَبْصَارِ) [آل عمران: 13] ؛ لأن المعنى هذا أن الفئة الكافرة ترى الفئة المؤمنة مثلي عدد الكافرة، حيث عندما التحم الصفان أوقع الله الوهن والرعب في قلوب الذين كفروا فاستدرجهم أولاً بأن أراهم إياهم عند المواجهة قليلاً، ثم أيد الله المؤمنين بنصره، فجعلهم في أعين الكافرين على الضعف منهم حتى وهنوا وضعفوا وغلبوا ولهذا قال سبحانه: ﴿ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ)[87] ولقد تحققت رؤيا النبي ﷺ حقاً، وهذا ما دفع أبا جهل إلى أن يقول: (إنما أصحاب محمد أكلة جزور...)[88] والمعنى " أن عددهم قليل ويكفيهم جزور واحد في اليوم ويشبعهم لحم ناقة[89]

الحكمة من التقليل في الأعين هو ما يلي:

1. التقليل الأول: تصديقا لرؤيا النبي ﷺ، وتقوية المؤمنين وازدياد جرأتهم عليهم، حتى يعاينوا ما أخبرهم به فيزداد يقينهم ويحلوا وينبتوا، ويجترئوا عليهم قلة مبالاة بهم ثم تفجوهم الكثرة فيبهتوا ويهابوا وتفل شوكتهم حين يرون ما لم يكن في الحسبان والتقدير.
2. أما التقليل الثاني: وهو أن المشركين عندما استقلوا عدد المسلمين لم يبالغوا في الاستعداد والتأهب وأخذ الحيطة والحذر وأقدموا على القتال غير خائفين، ثم يرونهم كثيرا فيفشلوا، وتكون الدائرة عليهم ويحل عليهم عذاب الله وتكون الغلبة للمؤمنين عليهم، فيعر الله بذلك الإسلام ويذل الكفر والشرك وأهله.[90] وبالفعل تحقق ما أراده الله سبحانه وتعالي من تقليل المسلمين في أعين المشركين والعكس، حيث اجترأ الصفان ووقعت الواقعة، فالله - سبحانه

---

[85] التفسير الكبير: الرازي، 15 / 170، و التفسير المنير: الزحيلي، 9 / 20.

[86] انظر: معالم التنزيل: البغوي، 2 / 637، دار الفكر.

[87] انظر: صفوة التفاسير: الصابوني، 1 / 507، والتفسير المنير: الزحيلي، 9 / 18، والأساس في السنة وفقهها سعيد حوى، 1 / 460 - 461، ط 1، 1409 هـ - 1989 م، دار السلام.

[88] سيرة ابن هشام: 2 / 235، وانظر التفسير المنير: الزحيلي، 9/18.

[89] التفسير المنير: الزحيلي، 9/18

[90] انظر: فتح القدير: الشوكاني، 401 / 2، والكشف:421 / 2 ، والتفسير الكبير: الرازي، 170 / 15، والتفسير المنير: الزحيلي 21 - 18 / 9، ومداركه التنزيل: ص 415، ومحاسن التأويل:3000 / 8 .

وتعالى - إذا أراد شيئًا يسر له الأسباب ووفر له الدواعي، والذي يؤكد على تحقيق ذلك قوله تعالى في سياق الآية: ﴿ **ليقضي الله أمرا كان مفعولا** ﴾ حيث تحقق ما أراده من نصر جنده وهزيمة الباطل وحزبه، ولقد كانت كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى[91]. أما عن عدم تكثيرهم في أعين المسلمين فهذا في قوله تعالى: ﴿ **وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيراً لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ** ﴾ حيث لم يرهم العدد كثيرا فلو سمعوا بذلك لأدى إلى الفشل والتنازع واضطراب أمرهم واختلاف كلمتهم وجبنوا وخافوا، ولكن الله سلمهم من هذه المخالفة فيما بينهم بما أراه الله للنبي في منامه مما سبق يتضح لنا أن التقليل في الأعين سبب من الأسباب الإلهية التي أمد الله بها عباده المؤمنين في غزوة بدر، فلقد كانت كل فئة ترى نظيرتها قليلة العدد وهذا ما أراد الله لنبيه في الرؤيا، ثم تحقق في اليقظة كما رأى النبي في المنام، ولم يشأ الله أن يريهم العدو كثير العدد حفاظاً على الروح المعنوية لدى القلة المؤمنة، إذ لو رأوهم كثيرا لفشلوا وتنازعوا، ولكن بقي الأمر على أن يرى كل فريق قليلاً أمام الآخر، وبذلك تحققت الحكمة الإلهية من وراء هذه المنحة الربانية ألا وهي تحقيق النصر والظفر للمسلمين والخزي والذل والهزيمة للمشركين، كيف لا وكل أمر من عنده، والنصر كله بيده ﷻ ومتى قدر له الأسباب الجالبة حققه بما شاء وكيف شاء **سبحانه العلي القدير**

النتائج :

1. أن النصر يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالأسباب الإلهية.
2. صور الإمداد الإلهي تعددت كمعية الله والإمداد بالملائكة وغيرها .
3. التأييد الإلهي والإمداد لا يقتصر على عهد النبي صلى الله عليه وسلم فحسب بل ظهرت بعض الأسباب المشابهة في بلاد المسلمين كفلسطين .

التوصيات :

1. توصي الدراسة بأهمية التوكل على الله مع الأخذ بالأسباب.
2. توصي الدراسة بضرورة الاهتمام والبحث في النصر والجهاد .
3. ربط الواقع بالسنن الإلهية .

[91] انظر: صفوة التفاسير:508 - 507 / 1 ، والسيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة: د. محمد أبو شيبة، 136 / 2، دار القلم.